

الانجازات الدينية والعسكرية للملك طهرقا

The religious and military achievements of King Tahraqa

بن موفق بومدين¹جامعة الجزائر² أبو القاسم سعد الله، الجزائرboumediabenmoufa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/27 تاريخ القبول: 2022/12/31 تاريخ النشر: 2022/12/31

Abstract:

At the end of the 20th dynasty, and taking the name Napata in relation to the new capital of the Kushin in the middle of the 8th century BC, to building a strong political entity that took Napata as its capital, which was located near Barkel mountain (the holy). It rose as a semi-religious state as a result of the union of the god Amun with the local family that had military and economic credentials, possibly resulting from its kings placing gold mines under their control. It was able to extend its political shadow to the Nuba country and Egypt in 751 BC, led by Baanakhi. Thanks to his son, Commander Tahraqa, and later the king, the Koch Kingdom reached the peak of its power thanks to its military achievements when he wanted to defend the Koch sovereignty in Egypt from the Assyrian invasion, as well as its civilizational achievements, especially in terms of building and constructing temples for all Egyptian gods, due to his religious background by virtue of his association with the god Amun.

المؤلف المرسل: بن موفق بومدين.

البريد الإلكتروني: boumediabenmoufa@gmail.com

Keywords: Tahraqa , the god Amun , Assyrians ,Chapataka, hazekiah , kush, Nuba

الملخص:

مع نهاية الأسرة العشرين وأخذ اسم نبتة نسبة للعاصمة الجديدة للكوشيين في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد من بناء كيان سياسي قوي اتخذ من نبتة عاصمة لها التي تقع بالقرب من جبل البركل (المقدس)، ونهضت كدولة شبه دينية نتيجة لاتحاد كهنة آمون وأسرّة محلية لها مؤهلات عسكرية واقتصادية ناتجة ربما عن وضع ملوكها مناجم الذهب تحت سيطرتهم استطاعت من بسط ظلها السياسي على بلاد النوبة ومصر سنة 751 ق.م بزعامة بعنخي. لتصل المملكة الكوشية من بعده إلى أوج قوتها بفضل ابنه القائد طهرقا والملك في ما بعد، وذلك بفضل انجازاته العسكرية حين أراد الدفاع عن السيادة الكوشية في مصر من الغزو الأشوري، كما كانت له انجازات حضارية خاصة من ناحية بناء وتشييد المعابد لكل الآلهة المصرية نظرا لخلفيته الدينية بحكم ارتباطه بالإله آمون.

الكلمات المفتاحية:

طهرقا، الإله آمون، الأشوريون، شاباتاكا، حزقيا؛ كوش، النوبة

1. مقدمة:

يعتبر طهرقا أحد أبرز ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية وأمجدهم عملا، فعصره ملئ بالأحداث السياسية والعسكرية مقارنة بما قام به سابقوه من الملوك، ويكفي القول بأنه كان يضارع ملوك الدولة الحديثة من حيث الانجازات العسكرية والحضارية. حيث سعى لاستعادة الأمجاد المصرية في الشرق الأدنى القديم، واسترداد قوتها ومكانتها وهيبتها مرة ثانية، حين ظلت فيها مصر غير

مبالية بالسياسة الخارجية، ويبدو أن الظروف لم تكن مواتية لسلفه، بسبب ظهور قوة عالمية في العالم القديم، وهي الآشورية التي جعلت حكم الأسرة الكوشية في مصر منعزلة طويلا عن العالم الخارجي، وباعتبار القائد طهرقا والملك في ما بعد كان ذا شخصية عسكرية قوية ما جعل المؤرخين القدامى وعلى رأسهم المؤرخ الروماني سترابو يطلق عليه " أنه أعظم مناور عسكري في التاريخ" وبرغم خلفيته العسكرية، إلا أنه كان متدينا واهتم بالبناء والتشييد لكل الآلهة المصرية، وكان يرتبط بشكل خاص بالإله آمون أو آمون رع، وقد ولد بمدينة نبتة التي كان إلهها الرئيسي آمون رع. و من هنا نطرح الإشكالية التالية: في ما تمثلت الانجازات العسكرية والحضارية للملك طهرقا ؟

2. التعريف به:

يعد طهرقا الابن الثاني لبعنخي وأمه أبار، وهو من أبرز وأشهر ملوك الأسرة الكوشية، فعصره مليء بالأحداث العسكرية والسياسية وإنجازاته الحضارية¹، أطلق عليه الإغريق اسم (تاركوس)²، بينما ذكر في التوراة باسم (تهراق)³.

لقد اختلفت الروايات التي نقلها مانيتون حول مدة حكمه، فذكر أنه حكم ثماني عشرة سنة، وجاء في مصدر آخر أنه حكم عشرين سنة، أما الآثار الباقية من عهده فتزجج أن مدة حكمه على الأقل امتدت إلى أكثر من ستة وعشرين سنة⁴.

انتقل طهرقا منذ كان عمره عشرين سنة رفقة إخوته من نبتة إلى طيبة بدعوة من الملك شاباتاكا سنة 695 ق.م، لمساعدته في تسير شؤون البلاد، وخاصة

الخطر الأشوري الذي بات يهدد الحدود المصرية الشرقية، وهنا يشير بعض المؤرخين من بينهم مكادام على أن طهرقا اشترك مع أخيه في الحكم لمدة حوالي خمس أو ست سنوات لأنه كان يفضل على إخوته وأبنائه، ربما لما يمتلكه من خبرة في شؤون الحكم والحرب⁵، وهذا ما تذكره لوحة كاوا المؤرخة بالعام السادس من حكمه التي يقول فيها:

"لقد قدمت من النوبة في صحبة إخوة الملك الذي صمم أن أكون معهم هناك، ونظرا لأنه كان يحبني أكثر من إخوته وأبنائه لأنني كنت مفضلا لدى جلالته عليهم"⁶، وبمجرد وفاة أخيه سنة 690 تولى عرش البلاد⁷.

ورغم صموت المصادر التاريخية حول الطريقة التي وصل بها إلى العرش الملكي، إلا أن هناك إشارات يمكن من خلالها أن نستخلص مجريات أحداث تولي طهرقا الحكم، فإذا تمعنا في لوحة كاوا نلاحظ مبالغة في وصف طهرقا وتفضيله عند الملك على إخوته وأبنائه الذين يعتبرون منافسين له في وراثة العرش، كما تنص روايات مانيتون على أنه اغتصب الحكم بعد أن قتل أخيه⁸. ما يجعل له الأحقية في تولي العرش حسب النظام الوراثي المعمول به.

وبناء على تلك المؤشرات نرى بأن الوضع السياسي في البلاد مر بتوتر وخلافات داخلية حول وراثة الحكم، وهو ما رواه العبرانيون عن نبيهم إشياعا الذي يحرضهم على عدم محالفة مصر والرضا بالخضوع للأشوريين في قوله: "أهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه، مدينة ومملكة مملكة"⁹. وهناك رواية طهرقا عندما كان في طريقه إلى مصر عابرا عن معبد جم آتون وشاهد ما عليه من تخريب، وكيف أن الرمال طغت عليه، فنذر على نفسه إن وصل للعرش بأن يعيد بناءه¹⁰. ومن هنا كان على طهرقا أن يأتي

بتلك الحيلة لكي يبرر اعتلائه العرش. لكن الحنكة السياسية لظهرقا وأحقيته في تولى العرش مكنته في الوصول إلى التاج الملكي بعد منافسة من إخوته . ويتضح من النصوص مثل لوحة كاوا والفيضان وغيرها أنه لم يتولى الحكم بكل سهولة ما جعله بعد توليه عرش الملك يبرر موقفه وليست هذه هي المرة الأولى في تاريخ واد النيل، بل نجد أن كل ملك اغتصب الملك بعد استتاب الأوضاع له يعمل على نشر ما طاب له من البيانات للأهالي، لأنه لا يوجد من يخالفه ما دام ينشرها على لسان الإله أمون مثلا في إحدى النصوص يخاطب فيها ظهرقا الإله أمون قائلا له: "لأنك جعلت من يدبر لي سوء يبوء بالفشل ونصبتني ملكا"¹¹

ولقد شهدت البلاد كثرة الخيرات والرخاء خلال العام السادس من حكمه، وهذا ما نلاحظه فيما جاء في لوحة الفيضان: " أيا أمون يا أبي، يارب عرشي القطرين. لقد أنعمت علي بأربع معجزات في غضون سنة واحدة، وهو العام السادس من تتويجي ملكا... عندما فاض النيل ليبلغ مستوى يمكن أن يسبب انجراف المواشي وإغراق سائر البلاد... ولكن ظلت المناطق الريفية جميلة على امتداد البصر، ولم يسمح لرياح الجنوب بأن تقضي عليها. وماتت القوارض والزواحف وطردت أسراب الجراد، وهكذا استطعت أن أحصد حصادا وفيرا بكميات لا تقدر من أجل الغلال المزدوج كمية لا تحصى .."¹².

ويرى الأثري مكأدم أن هذه المعجزات الأربعة الحسنة التي حدثت في سنة واحد وهي السنة السادسة من حكمه هي : فيضان النيل، وغزارة الأمطار، وتتويج ظهرقا عند موت سلفه ومجيء الملكة الوالدة لرؤية ابنها ظهرقا وهو يتوج ملكا على

العرش¹³ ، حيث يقول : " لقد انفصلت عنها عندما كنت شابا صغيرا في العشرين ، لأنني اصطحبت صاحب الجلالة شباكا عندما غزا الدلتا، وهكذا بعدما انقضت هذه السنوات جاءت إلى تانيس حيث كنت أقيم، ووجدتني متوجا ملكا، فسعدت كثيرة، وكان الناس ينحنون إلى الأرض أمام والدتي"¹⁴ .

وإذا أخذنا بمضمون النص وتفسير الأثري مكأدم للنص فإننا نستطيع تحديد سنة أن العام السادس أي سنة 690 ق.م أو 689 ق.م انطلاقا من فكرة قدوم طهرقا إلى مصر سنة 696، وهو تاريخ اشتراكه في الحكم مع أخيه لمدة ستة سنوات أي لغاية سنة 690، وهو عام المعجزات الأربعة لطهرقا الذي نزل مطر غزير تسبب في ارتفاع منسوب النيل لم تشهده البلاد من قبل، كاد يؤدي إلى هلاك البلاد لولا العناية الإلهية التي حولته إلى منفعة العباد والبلاد.

ومن خلال تلك التبريرات لطهرقا لسكان وادي النيل بحبه وتفضيله من الإله آمون الذي يوفر له العناية الإلهية في حكم البلاد وتوفير الرخاء والاستقرار وتصدي لكل من يريد له سوء، وهذا ما نجده في إحدى النصوص يخاطب فيها طهرقا الإله آمون قائلا له: "لأنك جعلت من يدبر لي سوء يبوء بالفشل ونصبتني ملكا"¹⁵ ، هذا ما يدل على حنكته وذكائه السياسي والعسكري، جعله يكون على عرش مصر وبلاد النوبة، حتى اختياره لمدينة تانيس مقرا لإدارته ليكون عن قرب لتتبع الأحداث السياسية وتطوراتها الداخلية للأشوريين من جهة وحلفائه في الشام، بينما ترك ولاية طيبة لكاهن آمون منتومحات الرابع حاكم الجنوب¹⁶ .

3. انجازاته الدينية والسياسية :

اتسمت فترته بالهدوء والاستقرار الأمر الذي انعكس على إنجازاته خاصة في البناء والمعمار حيث تركزت أعماله في بناء المعابد ونحت التماثيل والزخارف بها، والأعمال التذكارية كنصب الألواح المنقوشة بالكتابة الهيروغليفية وانتشرت

منشأته من منف وتانيس في الشمال إلى جبل البركل جنوبا، وفي مصر شيد معبدين بالكرنك، غير أن أهم أعماله كانت في السودان وهي تشييده لمعابد الإله آمون. و ساهم في ذلك الاستقرار الذي شهدته مصر وبلاد النوبة بطريقة غير مباشرة إن انشغال الأشوريين بالاضطرابات الداخلية بسبب مقتل الملك سناحريب حوالي 681 ق.م، على يد أحد أبنائه¹⁷، جعلت تهارقا يتفرغ إلى إنجازات حضارية وفنية لم يتح لأسلافه القيام به، حتى لقب " بالملك البناء"، فتلك المباني والمعابد الأثرية يمكن إن نحصرها في :

1.3 الدينية :

تشير الدراسات التاريخية والأثرية إلى هجرة كهنة الإله آمون تجاه مدينة نبتة عند سفح جبل بركل منذ عهد الدولة الحديثة وفي عهد الأسرة الثانية والعشرون الليبية، واستمروا على عبادة المعبود الإله آمون الذي صار الإله الرئيسي لمملكة نبتة، وحين نجح هؤلاء الكهنة من التوغل في المجتمع تمكنوا من إقامة أسرة حاكمة غايتها حكم طيبة المركز الرئيسي للإله آمون، لذا لم يكتفي ملوك الكوشيين بحكم نبتة، بل حاكما على طيبة التي ظلوا مرتبطين بها، وهذا ما يفسر بأن الإله آمون كان الإله الرئيسي في بلاد النوبة ما جعله يحظى باهتمام كبير من قبل ملوك الأسرة الكوشية وأبرزهم طهرقا، الذي قام بترميم وتشيد معابد للإله آمون في مصر وبلاد النوبة.

- في مصر: دلت الكشوف الأثرية الحديثة على أن الملك طهرقا قام بتشيد صالة للأعمدة في معبد الكرنك من واجهاته الأربعة¹⁸، وإلى الجنوب من المعبد الرئيس شيد معبدا خصصه للإله بتاح أوزير¹⁹. أما في مدينة هابو فقد

عثر على لوحة باسم تهارقا، بالإضافة إلى آثار أخرى وجدت في أماكن متفرقة من تانيس، ادفو والواحة البحرية، ووادي الحمامات ومنف²⁰.

- في بلاد النوبة: نشأت قرية الكوة²¹ التي نشأت على أنقاض بلدة جم أتون من أهم المراكز الدينية التي تبرز إنجازات طهرقا الحضارية، من منشآت دينية²²، وأبرزها معبده الذي بناه في الكوه للإله آمون رع سنة حوالي 684 ق.م، حيث أرسل له مجموعة من العمال ذوي الخبرة والمهارة من الحرفيين والصناع من منف لترميمه وتزيينه بالنقوش تصور الملك طهرقا يعانق الآلهة حورس وفي مشهد آخر يظهر يقدم القرابين للآلهة آمون وأخر تبين ممارسة طقوس تتويج الملك²³، ليكون على غرار المعابد الجنائزية في الدولة القديمة مثل أبو صير وسقارة²⁴.

كما تم العثور على عدة مخلفات أثرية للملك طهرقا من أبرزها المعبد الكبير في صخور جبل البركل للإله آمون الشبيه في طرازه معبد أبوسمبل، أطلق عليه اسم B300 من قبل علماء الآثار، الذي تم نحته وتزيينه من قبل حرفيين وصناع مصريين بأمر من الملك طهرقا²⁵. وهناك معبد آخر انتسب لطرهقا اكتشفه العالم الأثري جريفث في صنم أبودوم (مروي الحالية) ببلاد النوبة يعد نسخة مشابهة لمعبد الكوة²⁶.

هذا وقد كانت السنوات الأولى لحكمه قد شهدت ازدهارا هائلا ترتب عليه مجموعة من الأعمال بلغت معها المملكة أوج عظمتها وغير أن السنوات الأخيرة شهدت كوارث بسبب ظروف الصراع العسكري مع الإمبراطورية الآشورية.

2.3 إنجازاته السياسية:

ظهر طهرقا، وهو يدرك تماما الحمل الثقيل الذي تركه أخيه شاباتاكا للحفاظ على وحدة وادي النيل، ونجدة شعوب فلسطين والشام التي أخضعها الآشوريون. ومما لاشك فيه أن مواجهته مع سناحريب في التاكو كما ذكر سابقا،

جعلته يتخذ لنفسه سياسة خاصة في غربي آسيا، ويتفرغ للصراع المرتقب مع العدو الأول (الآشوريين)، لهذا ترك حكم نبتة لنوابه، وعهد بإدارة طيبة لأمرها المحلي منتومحات، واستمد من معبوده آمون القوة لمقاومة أعدائه²⁷.

أما في آشور فقد كانت الأمور شبه مضطربة خاصة على إثر تلك الفاجعة الشنيعة التي راح ضحيتها الملك سناحريب (حوالي 681 ق.م)، عندما اغتيل بيد أحد أبنائه²⁸، مما أدى إلى اضطرابات داخلية على العرش. لكن خليفته اسرحدون (حوالي 680-669 ق.م)، أو كما اعتادت بعض المراجع على تسميته (أشور أخي الدين)²⁹، ظفر بالعرش بدليل نصح "أسرحدون الملك العظيم والملك الشرعي وملك العالم وملك آشور ووصي بابل وملك سومر وأكاد وملك جهات العالم الأربع والراعي الحقيقي وحظي الآلهة العظام ومن أعلنه كل من الآلهة آشور وشماش وبل ونبو واشتار صاحبة نينوة واشتار صاحبة أربلا ملكا على بلاد آشور منذ أن كان طفلا"³⁰.

نجح أسرحدون بما يتمتع من سياسة عظيمة في السيطرة على زمام أمور الدولة الآشورية، فما أن جلس على العرش حتى اختفت كل الفتن والاضطرابات الداخلية³¹، وشرع في المشروع الذي تردد فيه أبوه وهو استخدام القوة ضد مصر، فعزم على الانتقام منها أملا في تحطيم قوتها العسكرية، وطمعا في ثرائها، ووقف تدخلها في شئون مستعمراته بسوريا وفلسطين، خاصة وأنه يدرك تماما بأن مصر كانت وراء تلك المواقف العدائية، وأنها لا تكف أبدا عن تحريك الثورات والفتن من فلسطين ضد الآشوريين³².

وفي المقابل كان طهرقا ذكيا وفطنا في صراعه مع الآشوريين، فلم يدخل في حرب مع خصمه مباشرة، وإنما لجأ للوسيلة الأكثر دهاء وهي دس الدسائس بين الولاة التابعين لأشور بعقد تحالف مع بعض أمراء فلسطين³³، فقام بتحريض ملك صيدا عبيد ملكوتي على الثورة ضد الآشوريين، لكنه لم يتحرك لنجدته ودفع الأخير حياته ثمنا لذلك³⁴. ويذكر أن أسرحدون بعد إبادته للمدينة وسبي أهلها، أنشأ إلى جوارها مدينة جديدة أسماها كاعرا أسرحدونه³⁵. ولكي يستريح من تدخل مصر في شئون مستعمراته، باعتبارها آخر أكبر قوة في غرب الشرق القديم، هاجمها في حوالي 674 ق.م³⁶. بهذا تدخل البلاد مرحلة جديدة من الاحتلال الأجنبي (الآشوري) الذي انكب عليها كالسيل بغزواته الثلاث، وهو أقسى وأمر من الغزو الهكسوسي السابق.

4. انجازاته العسكرية:

هذه الانجازات تبرز من خلال حنكته ومناورته العسكرية في حروبه مع الآشوريين، الذين قاموا في النصف الأول من القرن السابع ق.م بثلاث حملات على مصر (حوالي 671-667-663 ق.م)، وتصدى الملوك النوبيون لخطرها المحدق وبذلوا أقصى ما في وسعهم للحفاظ على استقلال وطنهم، وخاضوا معارك طاحنة خاصة في عهدي طهرقا وتانوت أمانى، وهي على النحو التالي:

1.4 الغزوة الآشورية الأولى (حوالي 671 ق.م):

في حوالي (674 ق.م) تعرض جيش أسرحدون لهزيمة على يد طهرقا، لكن ملك آشور لم يسلم بهذه الهزيمة التي أفقدته هيئته أمام الشعوب الخاضعة لسلطانه، ما جعل بعض الأمراء التابعين له يتآمرون عليه في محاولة منهم للقيام

بينما الباحث يعتقد أن هذه الهزيمة لم تؤثر في نفسية الآشوريين، ولم تضعف من عزيمتهم، بل كانت حافزا قويا لمعاودة الهجوم وأن انسحابهم لم يكن إلا لإعادة تنظيم قواتهم وتجهيزها لحملة أخرى. وحرصا من أسرحدون على سمعة الإمبراطورية، قرر غزو مصر منتهز الفرصة التي ركن فيها طهرقا الاطمئنان معتقدا بأن الملك الآشوري لن يجرؤ على غزو مصر، ومما زاد تأكيد ذلك الاعتقاد، انضمام بعض الأمراء السوريين إليه وعلى رأسهم ملك صور بعل³⁸. لكن أسرحدون عاود الكرة مرة ثانية بعد ثلاثة أعوام، ففي حوالي 671 ق.م، عاقب الملك بعل على انضمامه للمصريين³⁹، الذي فضل تسليم البلاد بشروطه وليس كما يرغب أسرحدون⁴⁰، ثم قرر أسرحدون شن هجوم على مصر حقق خلاله نجاحا بفضل المساعدة التي قدمها بدو الصحراء عندما مدوا جيشه بالجمال تمكينا له من عبور صحراء سينا⁴¹. ولا يعرف السبب الذي دفع بالبدو إلى فعل ذلك، هل خوفا من بطش الآشوريين، أم التماسا لطلب الرزق.

على أية حال، فقد بالغت النصوص الآشورية في وصفها لمشقة الطريق كما جاء على لسان أسرحدون " من مدينة أيشوبري حتى منف، مسيرة خمسة عشر يوما، حاربت كل يوم في معارك دموية ضد طهرقا ملك مصر والنوبة الملعون من كافة الآلهة العظام، وقد ضربته خمس مرات بسنان سهامي وسببت له جراحا ثم حاصرت منف مقره الملكي ودمرتها وهدمت أسوارها وأحرقتها"⁴². وبما أن طهرقا لم يكن مستعدا فقد خسر المعركة بعدما انقض عليه أسرحدون انقضاض النسر على فريسته، بحيث لم "أترك له المجال لتنظيم قواته"، وتمكن جيش أسرحدون من هزيمة جيش طهرقا في موقع شرق الدلتا يقال له سنجري⁴³، فترك

طهرقا الدنكا متجها نحو منف محاولا التحصن بها، فتبعه الملك الآشوري إلى هناك وحاصرها حتى سقطت (حوالي 671 ق.م) فتقهقر طهرقا جنوبا استعدادا لجولة أخرى، بينما وقع حريمه وأحد أبنائه المسيي نيسونحرت في الأسر⁴⁴، حيث ذكر أسرحدون: "ضربت الحصار حول مدينة ممبي المقر الملكي. واستوليت عليها قبل مرور نصف يوم بواسطة الأنفاق الأرضية والثغرات التي فتحت في أسوار المدينة وسلالم الاقتحام. ونقلت المغانم إلى آشور، ومن بينها الملكة وحريم القصر والوريث، بالإضافة إلى ممتلكاته وأحصنة ودواب الحمل، وأبعدت جميع الكوشيين إلى خارج البلاد ولم أبق على واحد منهم ليقدم لي فروض الطاعة والولاء، وحل محلهم في ربوع مصر ملوك وحكام وضباط ومراقبو موانئ وموظفون وإداريون"⁴⁵. وفي رأي آخر قائلا: "لقد انتزعت جذور كوش من مصر"⁴⁶.

اكتفى أسرحدون بفتح الدلتا وتقبل خضوع أمرائها، وترك حكمها لأمرء محليين، واستبعد ذوي الأصل النوبي، وأدرك بأن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد هو تقسيمها إلى إمارات صغيرة على كل منها أمير بعد أن فرض عليهم الجزية⁴⁷. ولكي يجعل من أرض الدلتا مقاطعة آشورية أعاد تسمية بعض المدن المصرية باسم أرباب آشور، ولم يكتف بما نهبه من القصر الملكي مما لا مثيل له في آشور وإنما طمع في أكثر من ذلك عندما أمر رجاله بنقل أعداد كبيرة من الأطباء والفنانين والحرفيين إلى عاصمته نينوي⁴⁸، وكأنما وجد في مهارتهم كنزا لا تقل أهميته عن كنوز القصر الملكي، أو ربما رأى في إبعادهم عن مصر حرمانها من سر حضارتها⁴⁹. الداخلية منعه من القدوم إلى مصر، ربما بسبب مرضه الذي توفي على أثره في حران آخر عواصم الآشوريين على نهر بلخ (حوالي 668 ق.م)، وهكذا عاد الجيش الآشوري أدراجه إلى بلاده دون أن ينجز مهمته⁵⁰

2.4 الغزوة الآشورية الثانية (حوالي 666 ق.م) :

إن وفاة أسرحدون وهو يتأهب لغزو مصر قد تركت عند تهارقا شعورا قويا بأن الفرصة أمامه باتت سانحة لحكم مصر، خاصة أن آشوربانيبال (حوالي 626 - 669 ق.م) الذي ذكرته المصادر الإغريقية (ساردانابالوس)⁵¹ ويقصد به الإله آشور خلق الابن⁵²، لم يكن الأمر أمامه سهلا، إذ حدث خلاف على وراثة العرش، لأن الملك السابق لم يختار أكبر أولاده لولاية العرش. وبمجرد أن أمن وضعه الداخلي وسيطر على الأوضاع قاد جيشه (حوالي 666 ق.م)، وأجبر كثير من حكام الشام على مرافقته بقواتهم معبرا عن غضبه قائلا: " وصل رسول سريع إلى نينوي وأبلغني النبأ فغضبت جدا لهذه الأحداث واشتعلت نفسي ورفعت كفي إلى آشور وإشتار"⁵³.

وصل الجيش مصر مهاجما من البر والبحر، والتقى مع جيش طهرقا في معركة وصفها النصوص الآشورية بأنها مكشوفة في موقع يقال له كاربونيت (Karbonit)⁵⁴، انتصر فيها الآشوريون، وانسحب طهرقا بقواته عبر النيل جنوبا⁵⁵. وتبعه آشور بانيبال إلى طيبة التي تعرضت لأول مرة في التاريخ للسلب والنهب، بينما نجت من التخريب والدمار⁵⁶. وبهذا لم يفلح الآشوريون في إلقاء القبض على طهرقا الذي فر هاربا إلى نبتة عاصمة الكوشيين حيث بقي بها في مأمن من انتقام آشور بانيبال، وقد سجلت أخبار هذه الحملة في نقوشه قائلا: " وهرب تهارقا إلى نبتة، وقد ألحقت به قوة جند آشور مولاي فهرب مستترا بالليل"⁵⁷.

واستعاد آشور بانيبال تنظيم البلاد، وأعاد الحكام مرة أخرى إلى ولاياتهم، وعاد إلى عاصمته نينوي بأسرى وغنائم كثيرة بدليل نصه "هكذا استعدت

الإشراف على مصر والنوبة، وجعلت الحاميات أقوى من ذي قبل، وتنظيمهم أشد إحكاما وقوة، وعدت إلى نينوي سالما بكثير من الأسرى وبغنيمة طائلة"⁵⁸.

إن مغادرة الجيش الآشوري كانت بمثابة إعلان ثورة من جانب الأمراء الذين أعادهم الملك إلى مقاطعتهم بعدما وافقوا على خضوعهم لآشور، فما أن غادر الجيش مصر حتى تحركت مشاعرهم الوطنية، وبادروا بمراسلات سرية مع طهرقا وعلى رأس هؤلاء نكاو أمير صالحجر، ومنتموحات حاكم طيبة . قائلين: "دعنا نتصافح ونصل إلى اتفاق وثيق بيننا، نتشارك في إدارة البلاد معا حتى لا يكون بيننا حاكم أجنبي"⁵⁹. وفي هذا النص إشارة قوية إلى أن الأمراء المصريين لم يعتبروا الكوشيين أجنب. إلا أن الآشوريين اكتشفوا تديبرهم فقبضوا على رسلهم، ودمروا مدتهم، وأرسلوا زعماءهم إلى نينوي حيث تم التنكيل بهم⁶⁰، ولم ينج من ذلك سوى نكاو ربما لأنه وريث الأسرة الرابعة والعشرين ذلك البيت المنافس لبيت طهرقا سليل الأسرة الخامسة والعشرين⁶¹ وعين معه ولده بسماستيك الأول (حوالي 664-656 ق.م) المعروف في النصوص الآشورية نابو-شرباني أميرا على أتريب (بنها الحالية)⁶²، والذي سيكون له شأن كبير في مقاومة الآشوريين. رفع منزلته إلى منزلة أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة وأحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة في مصر وطارد الهكسوس منها.

أثناء عودته إلى نبتة، لم يفقد طهرقا سلطته مطلقا، حيث اعترف به في طيبة كملك شرعي للبلاد، وظل الموالين له يذكرونه أينما ذهب، إلا أنه اضطر في آخر أيام حياته أن يشرك معه في الحكم تانوت آماني (حوالي 664-656 ق.م)، وعينه حاكما على مصر، وقبل أن تمضي سنة على توليه العرش مات طهرقا وهو في السبعين من عمره حوالي 663 ق.م، ودفن في مقبرته الهرمية بنوري بعكس أسلافه الذين دفنوا في الكرو، ومازال السبب الذي دفعه لذلك مجهولا، لكن من

الجائز أن السبب يعود إلى خليط من الغرور الإنساني والأحقاد الأسرية، وقد يكون مثل الملك زد فرع أحد ملوك الأسرة الرابعة في الدولة القديمة الذي بنى هرمه في أبورواش بدلا من منطقة أهرام الجيزة، أو لعدم وجود مساحة كافية في جبانة الكرو تسمح لإقامة هرمه الضخم⁶³.

5. الخاتمة:

ونستنتج في الأخير، بأن طهرقا يعد أقوى ملوك الأسرة الكوشية، نظرا لإنجازاته الحضارية، لا سيما السياسية والعسكرية التي تتمثل في استقرار الوضع الداخلي لدولة تحسبا للخطر الآشوري الذي أصبح على مشارف حدود دولته فضلا عن قوة مناورته العسكرية تماشيا مع إمكانياته العسكرية التي لا تضاهي القوة الآشورية، وقال عنه سترابون انه أعظم رجل عسكري في تاريخ العالم القديم، فضلا عن إنجازاته الدينية التي تمثلت في المعابد وبما فيها من نقوش التي تعد من أهم المعالم الأثرية والتاريخية التي تؤرخ للحضارة الكوشية.

6. الهوامش:

- ¹ . سليم حسن، مصر القديمة، تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيغني، ج11، القاهرة 2000، ص117
 - ² محمد بيومي مهران، تاريخ السودان، المرجع السابق، ص 379.
 - ³ . الكتاب المقدس، إشعياء /18، المصدر السابق، ص 510.
 - ⁴ . سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيغني حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج11، المرجع السابق، ص 117
 - ⁵ - بيومي مهران، المرجع السابق، ص 380 وكذلك
- Macadam, The Temples of Kawa, Vol, I, Oxford, 1949.p22
- ⁶ .Macadam, (M.F.L), OP.Cit, P24-32
 - ⁷ . شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 140.
 - ⁸ - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة، المرجع السابق، ص 352.
 - ⁹ . الكتاب المقدس، إشعياء / 18، المصدر السابق، ص 510
 - ¹⁰ - شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 141.
 - ¹¹ - سليم حسن، المرجع السابق، ص221
 - ¹² . سليم حسن، المرجع السابق، ص 209 و نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 452
 - ¹³ . وولتر إمري، المرجع السابق، ص 227
 - ¹⁴ . رمضان عبده على، معالم تاريخ مصر القديم، المرجع السابق، ص 584
 - ¹⁵ - سليم حسن، المرجع السابق، ص221
 - ¹⁶ محمد بيومي مهران، معمر منذ قيام الدولة الحديثة من الأسرة الحادية والثلاثين، المرجع السابق، ص 603
 - ¹⁷ . نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر، المرجع السابق، ص 352
 - ¹⁸ .ج. لكلان، (إمبراطورية كوش - نباتا ومروي)، المرجع السابق، ص 283
 - ¹⁹ . شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 144
 - ²⁰ . سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد يعني حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج11، المرجع السابق، ص 251-254
 - ²¹ - تقع إلي الجانب الجنوبي مدينة دنقلا شرق النيل سامية بشير دفع الله تاريخ الحضارات القديمة منذ القدم وحتى مملكة نبتة، دار هائل للطباعة والنشر، 1996 ص 79.
 - ²² . نفسه، ص 119

- ²³ سامية بشير دفع الله تاريخ الحضارات القديمة منذ القدم وحتى مملكة نبتة، دار هائل للطباعة والنشر، 1996 ص 79.
- ²⁴ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 452.
- ²⁵ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان، ص 383.
- ²⁶ شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 135.
- ²⁷ Arkell; History of the Sudan from the Earliest times To 1821, London, 1955, P. 128.
- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر، المرجع السابق، ص 352²⁸.
- ²⁹ شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 144، عبد العزيز صالح، مصر والعراق، 1967م، المرجع السابق، ص 601.
- ³⁰ سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج 11، المرجع السابق، ص 519.
- ³¹ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 452.
- ³² شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 144.
- ³³ حسن الله محمد على، قصة الحضارة في السودان، المرجع السابق، ص 107.
- ³⁴ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 222.
- ³⁵ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 452.
- ³⁶ محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة، المرجع السابق، ص 626.
- ³⁷ محمد إبراهيم بكر، صفحات مشرقة، المرجع السابق، ص 134.
- ³⁸ أبو العيون عبد العزيز بركات، المرجع السابق، ص 206.
- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر، المرجع السابق، ص 353³⁹.
- سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج 11، المرجع السابق، ص 529⁴⁰.
- ⁴¹ عبد العزيز صالح، مصر والعراق، 2004، المرجع السابق، ص 427. كذلك: محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة، المرجع السابق، ص 626.

- ⁴² . الن جاردنر، مصر الفراعنة، المرجع السابق، ص 376.
- . سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، المرجع السابق، ص 529⁴³
- ⁴⁴ . مكي شببيكة، المرجع السابق، ص 18. كذلك : شرقي الجمل، المرجع السابق، ص 145
- ⁴⁵ . نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 453
- ⁴⁶ . رمضان السيد، المرجع السابق، ص 260
- ⁴⁷ . نعوم شقير، جغرافية تاريخ السودان، ص 317
- ⁴⁸ . شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 145.
- ⁴⁹ . ناجي الأصيل، (النشاط الأثري في العراق)، بمحلة سومر، العدد 10، بغداد، 1954، ص 287.
- كذلك، عبد العزيز صالح، مصر والعراق، 2004م، المرجع السابق، ص 801.
- ⁵⁰ . محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القدم، (د.د.ن)، الإسكندرية، 1990م، ص 418)، كذلك: وولتر إمري، المرجع السابق، ص 228.
- ⁵¹ . عبد العزيز صالح، مصر والعراق، المرجع السابق، ص 601
- ⁵² . نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 454
- ⁵³ . عبد العزيز صالح، مصر والعراق، المرجع السابق، ص 319
- ⁵⁴ . جان بويرت، المرجع السابق، ص 182
- ⁵⁵ . رمضان عبده علي، معالم، تاريخ مصر القديم، المرجع السابق، ص 587
- ⁵⁶ . رولاند أوليفروجون فيج، المرجع السابق، ص 42. كذلك : زاهر رياض، المرجع السابق، ص 30.
- ⁵⁷ . مرجريت، مري، المرجع السابق، ص 78
- ⁵⁸ . سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج 11، المرجع السابق، ص 552
- ⁵⁹ . عبد العزيز صالح، مصر والعراق، 1967م، المرجع السابق، ص 319.
- ⁶⁰ . محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 223-224.
- ⁶¹ . أبو العيون عبد العزيز، المرجع السابق، ص 208.
- ⁶² . سليم حسن، تاريخ السودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ج 11، المرجع السابق، ص 548.
- ⁶³ . سليم حسن، تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخي، ج 10، المرجع السابق، ص 461-462. كذلك: أحمد فخري، الأهرامات المصرية المرجع السابق، ص 186.

قائمة المراجع :

1. الكتاب المقدس، إشعيا 18/
2. أحمد فخري، الأهرامات المصرية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة، 1963 .
3. رمضان عبده على السيد، معالم تاريخ مصر القديم منذ أقدم العصور حتى عام 332، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1996 .
4. رولاند أوليفر وجون فيج، موجز تاريخ أفريقية، ترجمة محمد السيد غلاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر 1995 .
5. مكي شبكية، تاريخ السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، 1991.
6. محمد ابراهيم بكر، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، مطبعة هيئة الأثار المصرية، 1992.
7. محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأذن القدم من أقدم العصور إلى مجئ الاسكندر، مطبعة المصري 1968.
8. محمد بيومي مهران، تاريخ السودان، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 1994 .
9. محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 2014 .
10. محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القدم، (د.د.ن)، الإسكندرية، 1990 م . .
11. مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ترجمة محمد كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998 .

12. ناجي الأصيل، (النشاط الأثري في العراق)، بمحلة سومر، العدد 10، بغداد، 1954.
13. نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر، دار المعارف، القاهرة، 1965.
14. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للنشر، الخرطوم 2007
15. نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر 1988 .
16. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم .مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2014
17. سامية بشير دفع الله تاريخ الحضارات القديمة منذ القدم وحتى مملكة نبتة، دار هائل للطباعة والنشر، 1996 .
18. سليم حسن، مصر القديمة، تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخي، ج11، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1994 .
19. شوقي الجمل، تاريخ السودان وادي النيل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2008.
20. وولتر إمري، مصر وبلاد النوبة، ترجمة هندوسة وآخرون، مصر.
21. Macadam, The Temples of Kawa, Vol, I, Oxford, 1949.
22. Arkell; History of the Sudan from the Earliest times To 1821 ,London, 1955.